قراءة حداثية لقضايا العقيدة الإسلامية

بقلم

د/ عبد الحليم لالوسي

جامعة محمد الصديق بن يحي - جيجل

ahalimlalouci@hotmail.fr

المقدمة:

تحاول هذه الدراسة أن تسلط الضوء على بعض جوانب الحداثة، وعلاقتها بنصوص القرآن الكريم ولا سيما المتعلقة، بقضايا العقيدة، ذلك أن الحداثة فلسفة تحمل في طياتها رؤية وجودية، ولها موقف من الدين ومضامينه ومما لا مجال للريب فيه أن الحداثيين يعتبرون الحداثة مشروعا شاملا ومنظومة متكاملة "لا تخص الشعر وحده بل تشمل حقول النشاط الإنساني"[1]، ويعتبرون أن الغرب هو المحضن الحضاري والمرجع العقدي لفكرة الحداثة، فنجد **محمد جمال باروت**، وهو مؤسس كبير من مؤسسي الحداثة، يعبر عن رؤية **يوسف الخال** للحداثة فيقول: "ينظر الخال إلى الحداثة عبر الغرب اللبرالي إذ يعتبر الغرب في هذه النظرة بوصفه عالميا كونيا شاملا،ويعود ذلك بالنسبة للخال إلى أن الغرب نتاج العقل الذي يتميز بكونية وشمولية قوانينه"[2]، ولا يمكن بأي حال من الأحوال عزل هذه الرؤية عن خلفيتها الفلسفية وجذورها الفكرية وظروف نشأتها، واختزال مفهومها فيما آلت إليه من تقدم في الجانب المادي من الحضارة، فلا ينكر ذلك إلا جاحد ولكن هذا الوجه الوضيء للحداثة لا ينبغي أن يدلس علينا وهو يخفي وجها آخر كالح السواد مس الحياة

[1] _ يوسف الخال: الحداثة في الشعر دار الطليعة طبعة بيروت سنة 1078 ص 17

[2] – يوسف الخال الحداثة في الشعر دار الطليعة بيروت ط1 سنة 1978 ص 17

الإنسانية في جوهرها فأفسد الفطرة وشكك في المسلمات ولبّس على الإنسانية حتى في البديهيات وهذا ما يفرض علينا كشف هذا اللبس وخاصة أن بعض الحداثيين أصبح لهم صوت مسموع لدى كثير من الجماهير الجاهلة والغافلة وغير القادرة على التمييز بين المفاهيم التي تبدو براقة في ظاهرها ولكنها خطيرة في أبعادها ومضامينها. ولا سيما إذا كان الكلام يحمل مغالطات محبوكة كما نلاحظ ذلك عند أدونيس حيث يقول: " إننا نمارس اليوم الحداثة الغربية على مستوى الحياة اليومية ووسائله ولكننا نرفضها على مستوى تحسين الفكر والعقل ووسائل هذا التحسين أي أننا نأخذ المنجزات ونرفض المبادئ العقلية التي أدت إلى ابتكارها إنه التلفيق الذي ينخر الإنسان العربي من الداخل"[1]، فما المقصود بالحداثة ؟ وما هي أهم مناهجها في دراسة النصوص الدينية منها على الخصوص ؟ وما علاقة رؤيتها بالعقيدة الإسلامية؟ وما انعكاساتها على الحياة الإنسانية ؟ وكيف يمكن التعامل مع هذا المفهوم بكل حمولته ؟

للإجابة عن هذه التساؤلات وضعت خطة من ثلاثة مباحث مستخدما المنهج الاستقرائي التحليلي مع النقد، حيث أستعرض مقولات الحداثيين، ثم أنقدها مبينا موطن الخلل فيها ومستدلا على وجهة النظر السليمة، بالنصوص الشرعية والبراهين العقلية على حسب الوسع الطاقة.

صحيح أن هناك دراسات متعددة تناولت موضوع الحداثة من جوانب مختلفة وبمقاصد متنوعة، كما نجد ذلك عند **عبد الوهاب المسيري** أو **طه عبد الرحمن**، إلا أن هذه الدراسة تتميز بكونها تكشف عن الجذور الفلسفية والخلفية الفكرية للحداثة العربية وكونها صدى للحداثة الغربية، وذلك من خلال نصوص حداثية للشعراء والأدباء والفلاسفة، وكتاب لا صلة لهم بالدراسات الدينية المتخصصة، بحيث يحاول

[1]_أدونيس الثابت والمتحول 3/ 268

أصحابها الطعن والتشكيك والاستهزاء أو التأويل البعيد لقضايا العقيدة التي تمثل جوهر الإسلام، ويصدر ذلك من أدباء ومفكرين أسماؤهم لامعة في الساحة الثقافية والفكرية في عالمنا العربي، ونصوصهم معتمدة في المناهج الرسمية على الرغم مما تحمله من خطورة على البناء العقدي للأجيال، ومن هنا فالدراسة تبرز جوهر الحداثة من نصوص الحداثيين وتبين مدى مناقضتها للتصورات الإسلامية ولا سيما في باب العقيدة.

المبحث الأول: ضبط المفاهيم

المطلب الأول: تعريف الحداثة

لغة: جاء في مقاييس اللغة: حدث الحاء والدال والثاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن يقال حدث أمر بعد أن لم يكن والرجل الحدث الطري السن والحديث من هذا لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء[1]. والحديث نقيض القديم والحدوث نقيض القدم، وحدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة، وأحدثه هو فهو محدث وحديث وكذلك استحدثه.والحدوث كون الشيء لم يكن ثم أحدثه الله، وحدث أمر أي وقع، ومحدثات الأمور هي ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان السلف الصالح على غيرها والحديث الجديد من الأشياء[2].

فمصطلح الحداثة له دلالات فلسفية وتعني الثورة على القديم والتجديد في رؤية القضايا بمناظير غربية، ولها دلالات مادية وهي وصف لما هو حديث كالعصرنة الابتكار والإبداع .

مفهوم الحداثة اصطلاحا :

[1]_ ابن فارس، مقاييس اللغة دار الفكر طبعة 1979مح2 ص 36.
[2]_ ابن منظور، لسان العرب، ص 797و798.

الحداثة مصطلح ليس له معنى محدد، ودلالة معينة، فهي عند الغرب مصطلح يدور معناه حول رفض القديم والتراث، ويرتبط بما هو علمي وعقلاني. فلا يوجد تعريف اتفق على مفرداته ومضامينها فهو مفهوم غامض لا يوجد اتفاق بين مستعمليه على المعنى الدقيق منه ولا على الفترة الزمنية التي يعبّر عنها، وإن كان أغلب المؤرخين يعتبرون أن عصر التنوير هو مرحلة التأسيس الفلسفي الفعلي للحداثة وكان على يدي الفيلسوف **كانط** الذي كان شعاره استخدم عقلك ولا تركن إلى أي مرجعية خارج العقل، فالعقل بذاته مرجعية لا يحتاج إلى مرجعية أخرى. وهذا يعني أن العقل له قدرة على فهم العالم والتاريخ، ومن هنا كان جوهر الحداثة.

أما في الثقافة العربية فهو مصطلح دخيل، و ليس له مدلول محدد، خاص بالثقافة العربية مما جعله مصطلحا غير منضبط، فكل يفسره على حسب خلفياته الفكرية ويشحنه بمضامينها. إذن فالحداثة مفهوم زئبقي مطاط لا يمكن ضبطه لتحوله بتحول التاريخ، ولكن مضامينه عند مستعمليه لا تخرج في الغالب عن مضامين البيئة التي نشأ فيها.

ومن هنا فالحداثة مذهب فكري أدبي علماني بني على أفكار فلسفية وثقافة غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية وغيرها من المذاهب الفلسفية و الأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية وغيرها فمن رؤيتها يستمد وعلى أفكارها يرتكز في بناء الرؤية الحداثية.

المطلب الثاني: الجذور الفلسفية والتاريخية للحداثة الغربية

من المهم جدا تتبع المراحل التاريخية التي تشكل عبرها مفهوم الحداثة، فالتاريخ الأوروبي مفعم بالمتناقضات والأحداث التي نتجت أساسا عن التحريف الذي لحق الديانة النصرانية، بسبب تناقضها مع الفطرة والمنطق والعلم وكل معطيات الحياة

السوية المتوازنة ولأسباب متنوعة وظروف مواتية انطلق العقل الغربي يحلل الأوضاع ويعلل الظواهر ويشخص الحالة الأوروبية وكيفية التخلص من حالة البؤس التي تعيشها أوروبا مقارنة مع حالة الازدهار التي يعيشها شعوب أخرى قريبة منها جغرافيا، لذلك أخذت التحولات في الحياة الغربية شكل رد الفعل السريع والعنيف فكانت هذه التحولات في تدرجها التاريخي كالآتي:

عصر الظلام- عصر الإصلاح الديني – عصر النهضة – عصر التنوير والعلمنة – عصر الحداثة – عصر ما بعد الحداثة.

إن هذه التحولات حملت بالنسبة للفرد الأوروبي إيجابيات كثيرة، حيث خلصته من الاستبداد والتخلف، ولا سيما أن كل مرحلة كانت تضيف للحياة الغربية معنى جديدا يعد امتيازا كبيرا بالمقارنة مع ما سبق خاصة مع ظهور المكتشفات العلمية والاختراعات التقنية التي جعلت العلم قيمة عليا قادرة على فك كل ألغاز الحياة وأقحم العلم حتى في القضايا الوجودية التي من المفروض أنها لا تخضع للمخبر والتجربة، وأصبحت تفسر قضاياه تفسيرا ماديا كغيرها، وهذا ما جعل الفلسفة الغربية تنتقل من طرف إلى طرف نقيض وهي تبحث عن الحلول لمشكلاتها الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكان من نتائجها ظهور التيار الحداثي الذي تبنى مجموعة من المناهج منها: الأنسنة – العقلنة – الأرخنة – التفكيك – البنيوية .

وكان لهذه المناهج أثرها البالغ في الحياة الغربية في تحليلها للنصوص التراثية ولا سيما الدينية منها باعتبارها المرجعية المتهمة بالوضعية المزرية التي عاشتها أوروبا خلال الحقب الماضية. فاتجهت الجهود لتغيير الحال مستصحبة هذه المناهج في تجسيد الحلول وصياغة حياة غربية جديدة.

المطلب الثالث: أهداف الحداثة الغربية

لا يخفى أن الحداثة الغربية هي ثمرة الصراع بين رجال الدين الذين تمثلهم الكنيسة بكل بعدها الروحي والمعرفي الذي هيمن على التفكير الغربي لقرون طويلة اختفى معه العقل والمنطق والحقيقة ومن ثم ظهر تيار في تاريخ أوروبا كرد فعل على الأوضاع المزرية التي كانت من نتائج هيمنة الكنيسة (تخلف جوع أمراض جهل استبداد) جاء هذا التيار ليعيد للحياة الغربية بهاءها ولا سيما بعد اللقاءات الحضارية مع الحضارة الإسلامية في الأندلس وصقلية وغيرها من الحواضر العلمية التي كانت منطلقا لتلك العودة، لكنها كانت عودة عنيفة حاقدة متطرفة معادية لكل ما كانت تقول به الكنيسة، وتغوّل البحث العلمي عندهم، وتجاوز حدود التسخير للكون بل أصبح يفسر حتى القضايا الوجودية ولا سيما بعد تلك التحولات التي واكبت الاكتشافات العلمية والجغرافية وظهور المذاهب الفلسفية والمدارس الأدبية التي وضعت الدين في موضع المتهم وكانت هذه الفلسفات والمنتجات في عالم الأدب في مختلف فروعة تهدف إلى:

نزع القداسة عن الدين، التشكيك في العقائد، الرفع من شأن العقل، الفصل بين الدين و الحياة.

وجاء التنزيل العملي لمبادئ الحداثة وفق تلك المناهج والسير بها نحو تلك الأهداف، وتسارع الإنجاز مؤيدا بهذه الحقائق العلمية المناقضة للخرافات الكنسية حتى بلغت هذه المفاهيم أوجها وتأسست دساتير الدولة الغربية الحديثة بناء على منطلقات الحداثة، وصار من اليقين الذي لا يشك فيه أن الدين عدو للعلم والتقدم والتطور والحداثة بسبب مقولات الكنيسة وإجراءاتها الشنيعة في قتل العلماء وحرقهم في ساحات عمومية على غرار ما حدث **لبرونو وقراندو** ثم ما فرض من توبة على **جالليو**، ينقل **أبو الحسن الندوي** أن هذ الأحكام طالت آلاف العلماء الذين تجرأوا

بنظريات علمية تخالف ما تدين به الكنيسة فنتج عن ذلك حالة من التلازم بين الحداثة الفلسفية والتطور المادي بلغ حد الحتمية على الرغم مما فيه من مغالطات مفضوحة يجزم بها المنصفون وهو أن هناك ثمة كثير من القضايا يستحيل للعلم المادي أن يخوض فيها أو يصل فيها إلى الحقيقة لأنها ليست من طبيعة العالم المادي الذي تمكن العلماء من بعض قوانينه.

المطلب الرابع : تاريخ الحداثة العربية أسباب وخلفيات

من المعلوم الذي لا يخفى على أي دارس أن الحداثة نبتة غربية المنشأ والمنطلق والمنهج والغاية، فكيف أصبحت مكونا ثقافيا في بلاد المسلمين ؟

للإجابة عن هذا السؤال لابد من دراسة الأسباب التي جعلت هذه الفكرة تنتقل من الغرب إلى بلاد العرب والمسلمين، وتجعل هذا المصطلح المحمّل بالثقافة الغربية يستساغ بل يحتفى به في فترات تاريخية معينة. ويتحول في مراحل أخرى إلى بؤرة للصراع المجتمعي الذي كان سببا للتدمير الذاتي وعنوانا للتخلف عن الركب الحضاري، و لا شك أن هناك عوامل كثيرة سهلت تسرب هذا الفكر الدخيل ومن أهمها ما يلي: الاستشراق – البعثات العلمية – الاستدمار – الجهل والتخلف في بلاد المسلمين – الترجمة – الانفتاح الإعلامي.

وهذه العوامل أحيانا مجتمعة وأحيانا متفرقة وأحيانا خفية وأحيانا أخرى معلنة تتكيف في هجومها وحجومها مع الظروف والمعطيات، لكن المؤكد أن الكيد والمكر والمحاولات لم تتوقف ولن تتوقف ونجاحها وفشلها رهين اليقظة والوعي وروح المقاومة الذي تتمتع به الأمة في جمركة الوافد من المفاهيم بالتمحيص ثم القبول أو الرفض.

المطلب الخامس: مناهج الحداثة العربية في تفسير النصوص

لم تخرج الحداثة العربية قيد أنملة عن الحداثة الغربية باعتبارها مجرد صدى للحداثة الغربية، ومن ثم لجأت إلى توظيف المناهج نفسها في التعامل مع القرآن الكريم والسنة النبوية كما تعامل الغربيون مع الكتاب المقدس ومختلف نصوصهم التراثية.

ولا شك أن تلك المناهج هي ثمرة للخلفية الفكرية والفلسفية التي استخلصها الفلاسفة من روح الحضارة المادية الغربية بجناحيها اليوناني والروماني فلم تخرج تلك المناهج عن روح الحضارة الغربية ولا سيما بعد تثبيت التهمة على الكنيسة بكونها سبب التخلف الذي لحق أوروبا في عصر الظلام. ونتيجة لانبهار الحداثيين العرب بكل ما هو غربي تأثروا بمناهجهم في النظر إلى الدين ونصوصه كتابا وسنة ووظفوا المناهج الغربية بكل حمولتها في دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية، وكان من نتائج ذلك أن تعرضت كل النصوص للدراسة النقدية بالخلفية الفكرية والفلسفية والتاريخية ومن دون مراعاة الفوارق الجوهرية بين الكتابين والتاريخين ومن ثم الحضارتين، فكان العدوان صارخا على الدين كله وعلى الخصوص قضايا العقيدة التي تتميز بالقطعية من جهة وبكونها باب الدخول إلى الإسلام أو الردة عنه.

المبحث الثاني: القراءة الحداثية لقضايا العقيدة

المطلب الأول مفهوم العقيدة و تحدياتها المعاصرة

يعبّر بالعقيدة عن جملة قضايا الغيب التي يجب على المسلم التصديق بها تصديقا جازما جملة وتفصيلا والتي تتمثل في أركان الإيمان الستة ومقتضياتها، وقد واجهت العقيدة الإسلامية تحديات مختلفة عبر التاريخ، أما في هذا العصر فإن من أهم تحديات العقيدة الإسلامية هو تيار الحداثة بأبعاده الفلسفية إذ تبنى الرؤية الغربية في تفسير الوجود وما يترتب عن ذلك من تحديد موقع الدين في منظومة الحياة بكل مجالاتها ولما كانت الحداثة تستبعد أن يكون للدين دور في الحياة أو أساسا للتطور ومن ثم

فإقصاؤه يعد المنطلق الأول في مشروع الحداثة، وهي أخطر مغالطة يحاول الحداثيون تبريرها بشتى المبررات ويجعلون التاريخ الأوروبي نمطا مرجعيا حين يقارنون الحياة الغربية في ظل حكم الكنيسة بحالتهم بعد التحرر من الدين الكنسي.

صحيح أن هذا الحكم يصدق على الدين الكنسي لأن ما أدخله رجال الكنيسة على الكتاب المقدس في صورته السماوية من تحريف ومناقضة للعقل ولا سيما بعد مؤتمر **نيقية** حيث تحالف رجال الدين مع رجال السياسة وقبلوا بالتحريف للدين ثم زعموا الزهد والرهبانية، في حين يعيشون حياة البذخ والشهوات فكان خيارهم هذا سببا لبؤس الإنسان الغربي في ظل الكنيسة التي هيمنت على الحياة الغربية..

أما الدين الذي يسلم فيه الناس بحق لله تعالى في رؤيته للحياة يمكن أن تتحقق معه الحداثة بالمفهوم المادي وأن يجتمع مع الدين التفوق في عالم المادة في أرقى صورها، وهذا ما حكاه القرآن الكريم عن قصة سليمان عليه السلام وهو يكشف أن ما بلغه ملكه من إنجاز حضاري لا يتنافى مع كونه مسلما لله رب لعالمين قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سورة النمل الآية 42، وهذا الاتجاه الذي ذهبت إليه الحداثة الغربية يعد تطرفا مهما كان انحراف الكنيسة لأن رفض الدين بالكلية يعد قضاء على الفطرة الإنسانية التي يعد الدين جزءا هاما من مكوناتها، وهناك مغالطة أخرى وهي أن القوانين التي تحكم النفس الإنسانية تختلف في إدراكها عن تلك التي تحكم عالم المادة، فالتي تحكم عالم المادة سوى الله في إدراكها بين البشر والسبق فيها للمجتهد في العلوم الموصلة إليها لا لمجرد كون الإنسان مسلما أو غير مسلم قال تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة الإسراء الآية 20.

وللأسف تعامل الحداثيون العرب مع القرآن الكريم بالمنطق نفسه على الرغم من التباين الواضح بين طبيعة القرآن الكريم الذي يشيد بالعقل ويمجد العلم ويمنحه مساحة واسعة في فهم الدين والاجتهاد في نصوصه وكذلك في الإبداع اللامحدود في تسخير الكون والإفادة من خيراته، فقاسوا الواقع الأوروبي في علاقته بالدين على الواقع العربي في علاقته بالقرآن الكريم وأدخلوا الأمة في اصطفاف وحالة من الصراع هذا مع الأصالة وهذا مع الحداثة وجادلوا بالباطل وبغير علم وساروا على غير هدى فضلوا وأضلوا على الرغم مما يزعمونه من الروح العلمية والموضوعية والمنهجية وغيرها من المصطلحات الطنانة وما هي إلا أوهام اعتنقوها وأباطيل اعتقدوها وهذا بعض مما وصف الله تعالى به هذه الأصناف المعارضة للقرآن عبر الزمان حيث بين القرآن أصول منطلقاتهم وأهدافهم ومخططاتهم ونفسياتهم قال تعالى: ﴿ **وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ** ﴾ سورة غافر من الآية 5.

ولعلنا ندرك هذا المعنى الذي يحاول الحداثيون من خلاله دحض الحق ونحن نطالع رد "**أركون**" على أحد الحاضرين في ندوة الإسلام والحداثة حيث اعترض المتدخل على جرأة "**أركون**" على الوحي وطلب منه احترام الوحي فرد قائلا: " بالطبع معك بعض الحق وقد نبهت منذ البداية إلى أنه ينبغي أن نسير في موضوع الحداثة بتؤدة وبطء فالأرض مزروعة بالألغام إنك تستخدم كلمات كثيفة ومثقلة بالدلالات التاريخية ولا تحاول تفكيكها وتحليلها...كل هذه التعابير المصطلحية التي ورثناها عن الماضي كمفردات الإيمان والعقيدة بوجه خاص لم يعد التفكير فيها الآن،ونحن نستخدمها كمسلمات وبديهيات ونشربها كما نشرب الماء العذب، هذا ما تعودنا عليه منذ الصغر ومنذ الأزل، ولكن إذا صممنا على أن ندخل فعليا في مناخ الحداثة العقلية، فماذا ترى ؟ ماذا تقول لنا الحداثة بخصوص هذه المفردات الضخمة الكثيفة التي تملأ

علينا أقطار وعينا ؟ ماذا تقول لنا بخصوص هذه المصطلحات الإيمانية والمشحونة بظلال المعاني ؟ عندما يستخدم المرء بشكل عفوي هذا المعجم الإيماني اللاهوتي القديم لا يعي مدى ثقله وكثافته وشحنته التاريخية وأبعاده المخفية، وكل الأخطار المرافقة لاستخدامه، فمثلا عندما يقول المؤمن التقليدي هناك أشياء لا تتغير ولا تتبدل وعندما يقول هناك المقدس أو (الحرم باللغة الإسلامية الكلاسيكية)، وينبغي عدم التساؤل حوله أو مسه وعندما يقول: هناك الوحي وكل هذه الأديان انطلقت من النقطة نفسها...عندما يقول كل ذلك فإنه يستخدم لغة كثيفة أكثر مما يجب...ماذا نعني هذه الكلمة ؟ إنها تعني أن كواهلنا تنوء تحت ثقل أكياس هذا المعجم القديم فهو أثقل من أن نحتمله أو نستطيع حمله بعد الآن ففي هذه الأكياس أكياس المعجم التقليدي أشياء كثيرة لا شيئا واحدا وينبغي أن نفتحها لكي نعرف ما فيها لم نعد نقبل الآن أن نحملها على أكتافنا وظهورنا دون أن نتساءل عن مضمونها...ماذا تقول لنا الحداثة بخصوص هذه الكلمات والمصطلحات الثيولوجية القديمة ماذا تقول لنا إذا ما أردنا أن نتنفس هواها الطلق"[1]. هذه الفقرات تتضمن في حقيقتها نسفا تاما لكل نص له علاقة بالوحي الإلهي من منطلق تاريخي فلفظة الإيمان حسب وصف **"محمد أركون"** ينبغي النظر إليها عند استخدامها من عدة جوانب:

أن نرفض أنها مسلمة، أنها مصطلحات كثيفة مثقلة بالدلالات التاريخية، أنها مصطلحات خطيرة، أنها تمثل المقدس، أنها تعبر عن الثوابت.

ومن هنا فالفكر الحداثي لا يقبل نصوصا لها هذه السمات و يحاكمها إلى المنطق الحداثي، ومن حيث المبدأ فإن الحداثة ترى هذه النصوص قديمة وتنتمي إلى المعجم القديم ولا بد من التخلص منها حتى يمكن أن يتنفس هواء الحداثة.

[1] _ محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية.

لا شك أن القواعد الإيمانية هي التي تضبط عالم التصورات وتجيب عن تساؤلات الإنسان الوجودية ومن ثم تضبط رؤية الإنسان لقضايا الحياة لا يمكن الاستغناء عنها لأنها ثابتة ثبات الفطرة الإنسانية ومعبرة عن طبيعة التكوين الأول للإنسان فهي بالتالي ليست حملا ولا ثقلا ولا يمكن للإنسان أن يقفز عن هذه الحقائق والمصطلحات التي جاء بها الوحي مهما بلغ الإنسان من تطور لأن تلك المصطلحات هي المصطلحات الدقيقة المعبرة عن طبيعة الإنسان واحتياجاته وتطلعاته وأشواقه فالفطرة خلق الله والدين وحي الله وهما متطابقان ومتناسقان لأنهما من مصدر واحد، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة الروم الآية 30، وبغيرها يظل الشقاء يطارده، والحداثة برفضها لمصطلحات الوحي انطلاقا من رؤيتها المادية لن تستطيع أن تروي غليله أو تشفي غليله، والواقع خير شاهد وتكون بذلك سببا لتعاسته لا لسعادته قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ سورة طه الآية 124.

المطلب الثاني: القراءة الحداثية للقضايا المتعلقة بالإيمان بالله تعالى

يعتبر الإيمان بالله تعالى هو أساس العقيدة الإسلامية وأصل كل الأصول وهو الركن الأول من أركان الإيمان ولا يكون الإنسان مسلما إلا بإيمانه بهذا الركن ومقتضياته بحيث لا يخالطه ريب ولا شك، وقد ورد ذلك في حديث جبريل عليه السلام:" **الإيمَانُ أنْ تُؤْمِنَ باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسله ...**"[1]، وكل قضايا العقيدة والشريعة بفروعها وأصولها تعود إلى هذا الأصل العظيم ولا يمكن فصل هذه الفروع عن أصلها كما لا يمكن فصل فروع الشجرة عن جذورها فالإيمان بالله تعالى

[1]_أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب الإسلام والإيمان والإحسان 36/1

يعد الناظم الذي يجمع كل قضايا الدين، ومن هنا كان المساس بهذه العقيدة والسخرية بأي قضية من قضايا الدين انحراف خطير، وهو ما يجعل التناقض بين الإسلام والحداثة قائما لاختلافهما في التصور والتلقي والفهم ومنها:

في توحيد الربوبية: توحيد الربوبية هو الاعتقاد الجازم أن الله تعالى هو الفاعل المطلق في الكون بالخلق والملك والتقدير والتدبير والتسيير، وعليه يقوم توحيد الربوبية على ثلاثة أسس:

أن الله تعالى هو الخالق لكل شيء أي أوجد وحده سبحانه كل شيء من العدم قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ سورة الأنعام الآية 102.

أن الله تعالى هو المالك، الملك المطلق الشامل لكل شيء، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ سورة المؤمنون الآية 88.

أن الله تعالى هو المدبر والمقدر والمتصرف في الكون، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ سورة الرعد الآية 2.

وهنا يجدر بنا التنبيه إلى أن العدم لا يوجد شيئا، وأن هذه المفعولات هي آثار تدل على الفاعل وصفاته، فهناك علاقة محكمة بين الفاعل والفعل والمصنوع والصانع، فآيات الكون دالة على عظمة موجدها وعلمه وقدرته ورحمته فلم يشكك في وجود الله أحد فمسألة وجود الله تعالى من المسلمات، ولم تطرح حتى مع الكفار في الزمن الغابر فهم يقرون بوجوده ومشكلتهم تتعلق بالشرك به في العبادة، أما الحداثيون في

هذا العصر فقد أنكروا وجود الله بل قامت مذاهب ودول على أسس إلحادية وشوهوا حتى الحقائق المسلّم بها عبر التاريخ الإنساني وما يقول به الحداثيون العرب من مقولات إلحادية ما هي إلا ترجمة للإلحاد العربي الذي سيطرت على فكره الفلسفة المادية. وهم لا ينفون هذه التبعية بل يفتخرون بذلك الانتماء وهذا المعنى الذي دعا إليه طه حسين في كتابه مستقبل الثقافة في مصر فالطريق عنده واحدة، " واحدة فذة ليس لها تعدد وهي أن نسير سير الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ونكون لهم شركاء في الحضارة في خيرها وشرها وحلوها ومرها وما يحب منها وما يكره...ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع"[1].

وعلى الرغم مما في هذا النص من مغالطات واضحة إلا أن المهم أنه يقرر حقيقة أن التبعية لا تقتصر على الجانب الثقافي بل تعدته إلى الجانب الاعتقادي وهذا ما سنلاحظه في مقولاتهم في عدة قضايا حيث نجد التأثر الصريح بالمذاهب الفلسفية مثل الشكية واللاأدرية والمادية والوجودية والعقلانية والوضعية وغيرها من الفلسفات. ويمكن بيان أهم القضايا المتعلقة بوجود الله من خلال رؤية الحداثيين فيما يأتي: نفي وجود الله تعالى أو التشكيك في ذلك، نفي كون الله تعالى ربا خالقا مدبرا، نسبة الأبدية للمخلوق والقول بأزلية العالم والخلق، الزعم بأن الوجود عبث، نسبة الخلق لغير الله تعالى وتسمية غير الله خالقا، السخرية والتدنيس والاستخفاف بمعنى الربوبية. وسوف نسوق بعض النماذج لأولئك الحداثيين في تصورهم للعقيدة المتعلقة بالربوبية، وذلك بإثبات الشواهد:

وفي هذا الصدد يقول **حسن حنفي**: " إن العالم مقسوم إلى قسمين: الله والعالم فينعكس ذلك على المجتمع على السلطان على الحاكم والمحكوم وسينعكس في الأسرة

[1] _ طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر ص 54

على الرجل والمرأة والسؤال الموجه لك هو أن هناك ثلاث اختيارات: اختيار حركة تحرر المرأة ...في البداية لتحرير المرأة من الرجل، وهناك المثقف العلماني الذي يبدأ بتغيير النظام السياسي وهناك الذي يحاول تثوير الدين، مالم نقض على هذا التصور الثنائي للعالم ورؤية العالم بين حاكم ومحكوم وعلى المستوى الديني بين خالق ومخلوق فلن تستطيع حركات تحرر المرأة أن تفعل شيئا ولن يستطيع المثقف العلماني أن يؤدي دوره مالم نقض على هذا التصور، هذا السؤال الأول في آليات التغيير"[1].

أما الفيلسوف العلماني عادل ظاهر فيذهب إلى أبعد من ذلك باستخدام مغالطات ضمن مقدمات فلسفية يمهد بها لبيان رؤيته حيث يرى أن الإيمان بوجود الله هو العقبة الكبرى في تفكير المسلم ويقدم تحليلا لذلك فيصرح بأن قضية لزوم تطبيق حكم الله في الأرض مرتبط في عقيدة المسلم بوجود الله الخالق وهذا الاعتقاد يشكل الرباط المعرفي والأسبقية الاعتقادية التي ينبني عليها القول بلزوم انضواء السياسة تحت الإسلام .

ثم يشير إلى ما يجب استبعاده من منظومات عقائد المسلم باعتبارها الأساس للقول بحكم الشريعة في سائر مناحي الحياة وأساسها الاعتقادي فيعتبر أن الإيمان بوجود الله هو الأساس الأخير لكل اعتقاد: "إن أسبقية المنطقية يحتمها كونه الأساس الأخير لاعتقاد آخر للمسلم، وإنه ما ينبغي أن نلجأ إليه في نهاية التحليل لتقرير ما الذي يتحتم استبعاده أو عدم استبعاده أو لا يتحتم استبعاده من منومة اعتقادات المسلم الدينية ومعيار الاستبعاد أو عدم الاستبعاد هو معيار منطقي في المقام الأول"[2].

ثم يفسر ما الذي ينبغي استبعاده باعتبار الأسبقية المنطقية فيقول: «ولكن أي

[1]_ حسن حنفي، ندوة الإسلام والحداثة ، ص 387 – 388.

[2]_ عادل ظاهر، الإسلام والحداثة مقال العلمانية والإسلام ص 25/24

اعتقادات للمسلم هو الاعتقاد المؤهل لاختلال هذا الوضع الابستمولوجي الفريد في المنظومة الاعتقادية للمسلم ؟ إنه لا شك الاعتقاد بوجود خالق أزلي كلي الحضور واحد أحد واجب الوجود وكلي العلم وكلي الخير وذي حرية تامة ومصدر للإلزام أخلاقي إن أي اعتقاد آخر يتعارض معه مستبعد بالضرورة من منظومة المسلم الاعتقادية»[1].

ثم يعقب ذلك بعبارات يشكك في وجود الله تعالى فيقول: " ويوقن أن الله إن كان خارج الوجود ولا اتصال له بالوجود إلا اتصال التكوين والهيمنة فإن هذا العالم لن يكون أكثر من كرة الغبار لا يستحق أن يوجد،ولا يستحق بالأحرى أن يعيش فيه هذا الكائن العظيم: الإنسان وسيكون هذا المخلوق مع ذلك مع ذلك أكثر أهمية من الخالق"[2].

لا شك أن المصطلحات الي وردت في هذه الفقرات تؤكد منطق الحداثة في التعامل مع قضايا الغيب ومنها الإيمان بالله تعالى من شكيك في وجوده والتهكم بوصفه ب"الكائن" وجعل استبعاد الإيمان بالربوبية هو المنطلق لنسف فكر ة تحكيم شرع الله تعالى فهذا الاعتقاد الذي يمثل الأساس هو المعرقل، فبحسبه لا بد من استبعاده كأسبقية منطقية.

أما علاء حامد فيصرح بالكفر فيقول: "الإنسان ليس سوى نظرية مادية بحتة وجد بالصدفة وسيموت بالصدفة وبموته يصبح مجرد ذكرى في أروقة الحياة فلا إله ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا جن أزرق أو أحمر ولا ملائكة بيضاء أو خضراء ترفرف بأجنحتها، والرسل ليسوا سوى مجموعة من الدجالين والأديان صيغ بشرية

[1]_ عادل ظاهر، الإسلام والحداثة مقال العلمانية والإسلام ص 26
[2]_ عادل ظاهر الحداثة والإسلام مقال العلمانية والإسلام ص17/16

ذكية والإنسان ابن الطبيعة خالق نفسه هو الأوحد والأقوى والأفضل والمتكبر وبالتالي فقد وجد بالصدفة وسيفنى جنسه البشري أيضا بالصدفة وعلى البشرية في هذه الحالة الأخيرة أن تبدأ من نقطة الصفر أي من نقطة البداية وقد يختلف شكل المخلوق القادم عن الإنسان المندثر بعد فناء العالم"[1].

ثم يضيف: " الله هو تلك الخلية الأبدية وكذلك مخلوقاته من إنسان وحيوان ونبات وجماد لا فرق في ذلك بين الشمس والبقرة والقمر والشجرة والنجم الثاقب والطفل الخائب كلها مخلوقات لله انقسمت من الخلية الأبدية بعد أن ارتدت ثوبها المادي...ياصديقي اللذوذ إذا أردت رؤية الله مجسما فتأمل الشمس والنجوم والحيوان والإنسان والنبات. أما القول بأن الله له مكانا محددا يجلس فيه يمكن التحدث معه بلسان طليق، فهذه أوهام صنعت بمهارة وصدقتها عقول تعيش في دروب الجهالة المفرطة، زلكن إذا أردت أن تعرف الله فليس أمامك سوى أن تعرف القوانين التي تحكم الكون"[2].

اما الزعم بالمادة الأولى والخلية الأولى للكائنات فزعم باطل لا دليل عليه من العقل والحس والتجربة، وعلى افتراض أن الحياة انطلقت من هذه الخلية فمن أوجدها ؟ فإن زعموا أنها أوجدت نفسها وقعوا في التناقض والخرلفة فليس في الوجود ولا في منطق العقل ولا في نتائج التجربة أن شيئا يوجد نفسه، إذ لا بد أن يسبق بالعدم فكيف تحول إلى الوجود، والعدم باتفاق العقلاء لا يفعل شيئا ولا يخالف ذلك إلا مجنون أو مكابر، لا شك أن علاء حامد في هذه المقاطع وغيرها كثير يخالف بصراحه ما يزعمه الحداثيون من العقلنة والعلمية وعدم التعميم والجزم إلا ببرهان أو دليل

[1]_علاء حامد: مسافة في عقل رجل ص 125
[2]_ مسافة في عقل رجل 150/149

فمن أين له أن يقول بالصدفة وقد أثبت العلم أن ما يحكم النظام الكوني من دقة وتناسق يستحيل أن يصدر عن الصدفة ؟ وكيف له أن يجزم بعدم وجود الثواب والعقاب والجن والنار والجنة والملائكة وهي لا تخضع لنتائج مختبره ؟ قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة الطور الآية 35. ولو سلمنا جدلا بأن الكون المنظور يسير بدقة القوانين، فمن ضبط تلك القوانين ألا يقول العقل أيها الحداثي أن كل شيء منظم لا بد له من منظم، ومن هنا نكتشف أن المنطق الببغاوي هو الذي يدفع هؤلاء للتشكيك في الحقائق تقليدا لنظرية الشك عند ديكارت ليس إلا، أما نحن المسلمين فبعد ثبوت الربوبية لله تعالى نقلا وعقلا حلت كل العقد التي يمكن أن تكون معضلات وجودية عند غير المسلم، فالله وحده الخالق القوي الجبار المتكبر وليس الإنسان كما يقول علاء حامد، والله في تصور المسلم: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ سورة الشورى من الآية 11. وليس كما يقول هذا الحداثي بأن الله هو قوانين الكون ويرد بسخرية استواء الله على العرش ويجسمه بالشمس والنجوم والنبات فينفي تفرده سبحانه بالوحدانية.

وهكذا تتشابك المفاهيم الإلحادية عند الحداثيين فلا يمسكون بأي حقيقة في الحياة فكل شيء عندهم غامض ويعبرون عنه بعبارات غامضة فهذا أدونيس يقول:" العمل يصعد من الأرض إلى اليد من اليد إلى التاريخ من التاريخ إلى هباء البدايات"[1].

هذا المنطق الأدونيسي يشكك في البدايات ومن ثم عن أصل الخلق وأن الكون عبث والحياة عبث وعدم وكل شيء ضياع ؟ إن هذه النبرة المتشككة يرد عليها هذا الكون المهندس ذو التصميم الدقيق فكيف لهؤلاء الحداثيين ينبهرون بآلة يصنعها بشر

[1]- أدونيس، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/ 283.

ويشيدون بعبقريته ولا يرون إبداع الخالق في صنعه، فالكون كله صمم ليسير نحو غاية، لأن كل شيء مصمم بهذه الدقة وهذا الانسجام بين عناصره ووظائفها يستحيل أن يتحول إلى هباء، قال تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ سورة الأعلى الآية 1 – 3.

المطلب الثالث: قراءة حداثية للقضايا المتعلقة بالملائكة

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان وهو تبع للإيمان بالله تعالى، والمقصود منه الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى خلق الملائكة من نور فهي مخلوقات نورانية مطهرة عن جميع الغرائز ولها وظائف متنوعة في علاقتها بالكون والحياة فضلا عن وظيفتها الأساسية وهي التسبيح الدائم والطاعة المطلقة لأوامر الله تعالى، وقد تنوعت الأدلة في تفصيل وبيان ما يتعلق بعالم الملائكة من أوصاف وأحوال وأعمال وفي سياقات مختلفة، فوجودهم ثابت بالدليل القطعي وجحودهم مخرج من الملة.

وقد تعرض الحداثيون لهذا الركن بالإنكار والتشكيك والسخرية والاستهزاء، والناظر في انتاجهم يكتشف أنهم انحرفوا في هذا الركن كما انحرفوا في غيره ولبيان ذلك نسوق نماذج للتوضيح:

ومن أظهر الذين أنكروا الملائكة علاء حامد حيث يقول: "من الأهمية بمكان أن نشذب فكرة وجود الله من أغصانها السرطانية بالاتجاه لقفص العقل ورفض توارث فكرة وجود الله، فالإيمان بوجود الله من خلال الأديان والتي تطالب الإنسان بالإيمان بأمور تتخطى نطاق التفكير وتربط قضية وجود الله بهذه الأمور ارتباط الجنين بالمشيمة والجذر بالتربة، فطالما آمن الإنسان بوجود الله عن طريق الأديان

فعليه تقبل كل ما يتصل بوجود هذا الإله من جنة ونار وشياطين وملائكة وجن صالح وجن طالح وإبليس ومعاونيه حتى لا يجرفهم الإنكار إلى النار المحرقة" [1].

واضح أن **علاء حامد** لا يؤمن بشيء غير محسوس انطلاقا من تفكيره المادي الذي يزعم أنه نتاج العقل والعلم، ولا شك أن هذا المنطق مخالف للعقل والعلم فكم هي القضايا في الحياة التي نصدق بوجودها ونلح آثارها ولا نراها أو نلمسها، وإنما حكمنا بوجودها بما ثبت لدينا أن هذه الأمور لا يحيل العقل وجودها ومعرفتنا قاصرة على إدراكها، وحتى أننا نجد أجيالا سبقتنا كثير من الأمور بالنسبة لها غيب وهي من عالم الشهادة كانت عاجزة عن إدراكها لعدم توفر وسائل الإدراك، فإذا كان هذا مع عالم الشهادة الممكن لنا إدراكه فكيف مع المغيبات التي لا يملك ولن يملك الإنسان وسائل كشفها إلا في الظروف والمحطات واللحظات المعلومة قال تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة ق الآية 22، وهكذا يظهر لنا أن تهمة الخرافة التي يتهم بها الوحي هي المنطق الذي يستخدمه الحداثيون في قبول أو نفي ما يشاؤون فالأمر الغائب عن الحس ليس بالضرورة غير موجود، فغير الموجود هو ما ثبت عقلا أنه يستحيل أن يوجد وهذا لا ينطبق عن المغيبات المي لا يحس بها الحداثيون وهي ممكنة الوجود عند كل عاقل، صحيح أنها لا ترى لأنها ذات طبيعة غير منظورة وهذا لا يعني عدم وجودها. فكثير من الحقائق كانت مغيبة فعرفها الإنسان وكثير من الأشياء نستدل على وجودها بمجرد معرفة آثارها لأن الضرورة العقلية تفرض ذلك والأمثلة كثيرة في كل العوالم. فالضرورة العقلية تقتضي الجزم القاطع بها ونحن نجزم أن القرآن صادق في إخباره بدلالة إعجازه وقد أخبرنا بوجود هذه المخلوقات النورانية.

[1]_علاء حامد: مسافة في عقل رجل ص 191

ومن ذلك قوله وهو يتهكم بملك الموت فقال: "والموت صفحة مكتوبة لا تغيير فيها ولا تبديل فمن أتى أجله يأتيه الموت ولو كتن في بروج مشيدة من الصحة والعافية بلا أسباب اهرة أو خفية يأتيه عزرائيا ويجمعهم حوله ويلفه ويدور قم يطعنه هذا الملعون طعنة نجلاء فإذا هو جثة هامدة ترفرف كالطير الذبيح فوق الأرض"[1].

وفيما يتعلق بالملائكة البررة فإن الحداثيين كالوا لهم جميع ألوان التهكم والسخرية والشتم والأوصاف الهابطة، وهذه بعض الشواهد على ذلك:

يقول أدونيس:" أنتم أيها الملائكة الأطهار المنقذون القواد الحكام...التمس منكم في هذه اللحظة معجزة واحدة أن تعرفوا كيف تقولون وداعا واو دال ألف عين ألف معجزة واحدة وداعا"[2]

ويقول :"رف حولي جبريل قال _أبشر ومدلي سكرة طعمتها ولم يزل في فمي الطعم" [3]، وفي مقطوعة السماء الثامنة التي يصور فيها الإسراء والمعراج تصويرا أسطوريا بطريقة ساخرة ويجعل نفسه هو الشخصية التي عرج بها.

فيقول: " ثم رأيت ملكا لم يبتسم _ من هو ياجبريل _عزرائيل اقترب وسلم سلمت هب واقفا هنأني سألت كيف تقبض الأرواح قال سهل حين يأتي أجل الإنسان أرسل أربعين من ملائكتي ينزعون روحه من العروق حين تصير في الحلقوم أسلها كشعرة من عجين ...وبدت الدنيا في يده كدرهم وفي آخرها يقول ك ولم تزل تنزل ها وصلنا ودعنى جبريل قال حدث بما رأيت واختفى البراق"[4].

---

[1] _علاء حامد مسافة في عقل رجل ص 172

[2] _ أدونيس الأعمال الشعرية 570/1

[3] أدونيس الأعمال الشعرية 103/191/2

[4] _ أدونيس الأعمال الشعرية 146/2

ويذهب السياب للنيل من ملك الموت، بوصفه بثعلب الموت الجائع، فيقول: " ثعلب الموت، فارس الموت، عزرائيل يدنو ويحشذ، الفصل. آه، منه آه، يصك أسنانه الجوعى ويرنو مهددا، يا إلهي، ليت أن الحياة كانت فناء، قبل هذا الفناء، هذي النهاية، ليت هذا الختام كان ابتداء واعذاباه إذ ترى أعين الأطفال أعين هذا المهدد المستبيحا، صابغا بالدماء كفيه، في عينيه نار وبين فكيه نار"[1].

فانظر كيف يصف ملك الموت بأنه ثعلب وأنه يحمل نصلا يأخذ به الأرواح وأنه ما أخذ الأرواح إلا لكونه جائعا وأنه سبب تعاسة الحياة وتنغيصها.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ سورة السجدة الآية 11. فسنة الحياة تقتضي الموت، وهذا الملك الكريم ينفذ أوامر الله ولو لم يكن الأمر مقدرا من الله لمات الناس في سن واحدة لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون فالقضية ليست عبثا ولا متروكة للصدفة وهي خاضعة لمبدأ الابتلاء الذي صممت عليه حياة البشر فوق الأرض.

ومن أبشع ما قيل في حق الألوهية والملائكة ما قاله نزار قباني: "لأنني أحبك يحدث شيء غير عادي في تقاليد السماء يصبح الملائكة أحرارا في ممارسة الحب ويتزوج الله حبيبته"[2].

أستغفر الله، هذا القول من الحداثي لم يقل به أخس الزنادقة عبر التاريخ فسبحانه خلق الملائكة أطهارا كراما برره، قال تعالى: ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ سورة الانفطار الآية 11، وأنه تعالى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ

[1]- ديوان السياب ص 448/447

[2]_نزار قباني الأعمال الشعرية الكاملة 442/2

﴿صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ سورة الجن الآية 3.

المطلب الرابع: القراءة الحداثية للقضايا المتعلقة بالكتب (الوحي)

الإيمان بالكتب المنزلة ركن من أركان العقيدة لا يصح إيمان من جحد هذا الركن، والإيمان بالكتب يكون إجمالا وتفصيلا .

والوحي اصطفاء من الله لرسله، والرسل لا يملكون إلا التبليغ. وقد تعرضت الكتب السابقة للتحريف في مبناها ومعناها، أما القرآن الكريم فلما عجزوا عن تبديله وتحريفه ألفاظه، ما فتئوا يكررون المحاولات لتأويله التأويل الفاسد الذي لا يخضع لقواعد الفهم التي تشكلت عبر التاريخ ولا ينسجم مع روح الإسلام وكلياته ومقاصده. محاولين تشويه الحقائق والطعن والتشويش.

وقد وضع الحداثيون قواعد ومصطلحات ومناهج لدراسة النص الديني وفهمه كمصطلح التأويلية الهرمونيطيقا، والتاريخية.

ويعد **طه حسين** من طلائع الحداثيين وأستاذ التنويريين باعتباره أول من اقتحم المقدس وتمرد على المسلمات ودعا إلى إعادة صياغة كل شيءالدين واللغة والحضارة.وهذا يكشف عن الحقد الدفين والعداء المكين لهذا الدين، ومنذ أن قام **طه حسين** بالجرأة على القرآن أصبح هو وأتباعه وأمثاله **نصر حامد أبو زيد وحسن حنفي وفرج فودة** أداة استدمارية في البلاد الإسلامية يؤدون وظيفة التكذيب والتشكيك والتهكم بالقيم والدين باسم الأدب والعلم والتفكير الفلسفي والعقلي وكانت مهمتهم ميسرة و لا سيما أنهم كانوا يتمركزون في مراكز حساسة ذات تأثير في بلدانهم بسبب هذا الولاء للغرب وحداثته لأن الحداثة العربية ما هي إلا صدى للمشروع الغربي الذي يهدف إلى التبعية.

المطلب الخامس: القراءة الحداثية للقضايا المتعلقة بالرسل

الإيمان بالرسل ركن من أركان العقيدة الإسلامية وأصل من أصولها، فمن جحد هذا الأصل خرج من ملة الإسلام، ويقتضي الإيمان بالرسل التصديق بما جاء عنهم في القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

وقد تعرض هذا الركن للطعن من قبل الحداثيين بالجحود والتشكيك والسخرية والاستهزاء وهم يردون النصوص الصريحة في ذلك ومنهم **طه حسين،** الذي يقول:" للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ولكن ورود هذين الإسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما، فضلا عن اثبات هذه القصة التي تحدثنا عن هجرة اسماعيل بن ابراهيم إلى مكة.[1]

ولا شك أن هذه الأقوال تتضمن إلحادا مكشوفا ومعارضة صريحة للقرآن الكريم وردا لآيات الله وإنكارا لرسله وتكذيب النصوص القطعية، قال تعالى: ﴿ **وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾** ﴾ سورة البقرة الآية 124.

أما **توفيق صايغ** فإنه وبأسلوب تهكمي يحصر النبوة في قوله: "أدركوا أن النبوة بلاغة قول"[2].

وهو بهذا الحصر يقرر أنه لا تنزيل وفي ذلك معارضة صريحة لجميع الآيات التي تبين أن النبوة تنزيل من رب العالمين.

---

[1] _ طه حسين في الشعر الجاهلي ص 26

[2] _ توفيق صايغ، الأعمال الكاملة ص 349.

المطلب السادس: المصطلحات المتعلقة اليوم الآخر

اليوم الآخر هو يوم القيامة الذي يبعث فيه الخلق لفصل القضاء بينهم. والإيمان هو الركن الخامس من أركان الإيمان التي أخبر الله عنها في كتابة والرسول صلى الله عليه وسلم في سنته.

وقد جعل الحداثيون هذا الركن هدفا لهم بالجحود والتشكيك والسخرية والطعن بجميع أشكاله. فها هو **أحمد سعيد** المشهور **بأدونيس** ينفي المعاذ والبعث، ويعده من أسباب التخلف العربي إيمانهم بالآخرة وذلك في قوله: " ويبدو كأن المجتمع العربي لا يتغير، بل يتراكم كأنه مجتمع الثبات لا التغير يؤمن بالأبدية لا بالزمان، وبالآخرة لا بالدنيا"[1].

وتعبر نازك الملائكة عن شكها في البعث، بقولها: " قالوا الخلود ووجدته يتمطى في برود فوق المدافئ حيث تنكمش الحياة ووجدته لفظا على بعض الشفاه غنته وهي تنوح ماضيها وتنزله اللحود غنته وهي تموت...ياللازدراء قالوا الخلود ولم أجد إلا الفناء"[2].

وهذه الرؤية، ذات المنطق الدهري العبثي العدمي الشكي، ماهي إلا نسخة مكررة عن الجاهلية التي جاء الإسلام ليعالج أوضاعها ويرد على الشبهات التي يرددها الملحدون عبر العصور ولا يملكون دليلا عقليا واحدا يليق أن يعتمد عليه في نفي الآخرة على الرغم من ادعائهم العقلنة والمنطق. أولا يرون أن المنطق السليم يرفض أن يخلق هذا الكون بهذا النظام لتكون الحياة على ظهره مجرد عبث ؟ أفلا يرون أن الحياة فيها آلاف الأدلة التي تجري فيها عملية البدء والإعادة ؟

---

[1] _أدونيس زمن الشعر ص67

[2] ع ديوان نازك الملائكة 87

ثم بعد ذلك من أين جاء المشككون والملحدون من الحداثيين بهذا الحكم هل كشفوا حجاب الغيب فرأوا ما يجري تحت التراب من أحداث ؟ وأنّى لعقولهم الكليلة ومعرفتهم القليلة أن يستشرفوا ما يجري في ذلك العالم ، وهم عاجزون حتى عن معرفة غدهم القريب بل حتى عن معرفة ذواتهم التي بين جنبيهم ؟ إن الموت مرحلة والحساب مؤجل.

وإنكار ذلك من الحداثيين لا يسنده دليل فهو مجرد ظن كما اخبر القرآن الكريم فمختلف الظواهر الكونية والمنطق العقلي والشواهد التاريخية تؤكد هذا البعث وضرورته لتحقق العدل الذي من أجله قامت السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ سورة ص الآية 17 – 28، فالعدل الإلهي يقتضي أن تنصب الموازين لتحدد المسؤوليات وينال الإنسان الجزاء عدلا وفضلا فالعقلانية التي يقول بها الحداثيون هي نفسها تقول أنه يستحيل أن يكون مصير المجرمين هو نفس مصير أهل الاستقامة.

ومن جهة أخرى فإن الظواهر الكونية تقرر قانون الإعادة إذ تسقط أوراق الشجر، وتعود ويموت نبات الأرض ليعود وتغرب الشمس لتعود والبدء والإعادة قانون شامل، قال تعالى:﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ سورة ق الآية 11.

أما الشواهد التاريخية والتي يقول عنها الحداثيون أساطير وخرافات فهم من الناحية العقلية لا يستطيعون ردها لأنهم لم يعيشوا تلك الحادثة. ومن ناحية أخرى فالإيمان بالله تعالى وصفاته العليا تجعل الأمر في غاية اليسر _إن كانوا يعتقدون بإله _

لأن من صفات الإله أن يكون قادرا لا يعجزه شيء. عالما لا يخفى عليه شيء فمهما توزعت ذرات الموتى فالله قادر على جمعها قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ ﴾ سورة لقمان الآية 16، بل إن الله تعالى قادر على أن يسوي بنانه بعد أن يبعثه: ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤ ﴾ سورة القيامة الآية 4. ولخطورة ذلك ورد في سورة البقرة خمس قصص تؤكد هذا البعث قصة البقرة وقصة بيني إسرائيل الذين اشترطوا على موسى عليه السلام ان يريهم الله جهرة وقصة الذي مرّ على قرية وقصة الطيور الممزقة مع سيدنا إبراهيم عليه السلام وقصة الألوف من بني إسرائيل والتي سيقت كنماذج في سياقات مختلفة لترسخ المعنى لمن حضروا تلك الحوادث وتكون مصدر يقين بالبعث لمن قرأوا رسالات الله وايقنوا بصدقها لكونها مؤيدة بالمعجزات المادية في الرسالات السابقة وبالمعجزة المعنوية الخالدة كما في الرسالة الخاتمة أما الحداثيون فيغالطون أنفسهم و فيكابرون ويقبلون حكم العقل حين يشاؤون ويرفضون حكم العقل حين يحلو لهم ومن هنا لا يمكن أن يقتنعوا حتى لو جئتهم بألف دليل: ﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ﴾ سورة الروم الآية 58، فالحداثيون شأنهم شأن الذين أوتوا الكتاب أعمى الله بصيرتهم وطبع على قلوبهم بسبب عنادهم ومكابرتهم، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥ ﴾ سورة البقرة الآية 145. وهذه الحالة المرضية لا يعوزها الدليل للإيمان، والحقد الدفين فيه غير قابل للشفاء قال تعالى: ﴿ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٨٨ ﴾ سورة يونس الآية 88.

المطلب السابع: القراءة الحداثية للقضايا المتعلقة بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان العقيدة الإسلامية. وقد اختلفت عبارات العلماء في تعريف القضاء والقدر إلا أن هذا التنوع في العبارة لا يؤثر في المعاني المتضمنة فيهما والتي تلتقي في كونهما يعبران عن علم الله المتعلق بالمخلوقات فعلم سبحانه ما كان وما سيكون، ومن ثم فالقضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدر هو وقوع الخلق وفق ما قضى الله به في السابق، فعقيدة القضاء والقدر تعالج قضية غيبية لها علاقة تلازمية مع مسألة الابتلاء بالخير والشر وحتى يمكن استيعابها وضع الشرع مجموعة من القواعد تشكل في تآلفها الرؤية الإسلامية للقضاء والقدر وترسم الحدود الفاصلة بين مشيئة الله تعالى المطلقة ومشيئة الإنسان الحرة المحدودة، وفهم هذه القواعد يحقق التوان النفسي للمؤمن فهو من جهة يسلم لله في عالم الأقدار ومن جهة يسعى بجد للأخذ بالأسباب :

1_الإيمان بعلمه تعالى الشامل المحيط بكل شيء أزلا وأبدا جملة وتفصيلا علمه محيط بالموجودات والممكنات والمستحيلات.

2 _ أن علم الله المحيط كتبه في اللوح المحفوظ.

3_ أن الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته التامة وأن الله تعالى يفعل ما يشاء.

4_ الإيمان بأن الله خالق كل شيء، فالكائنات بذواتها وصفاتها وحركاتها وسكونها ومن ثم خلق كل عامل وعمله، كما أثبت الشرع أن للخلق قدرة ومشيئة هي موضع الابتلاء فبهما يمكن التفريق من الفعل الإرادي واللاإرادي، وهذا الهامش من المشيئة هو مما شاءه الله لتتحقق حكمة الابتلاء.

وبناء على هذه المقدمات فإن الإيمان بالقدر لا يسوغ لأي أحد أن يتخذ القدر مطية لمخالفة أحكام الشريعة والاستسلام للظروف وجعله مشجبا لتبرير ترك التكاليف

المختلفة وذلك للأسباب التالية:

1_ أن كل البشر يفرقون بين الفعل الاختياري والإجباري فنبضة القلب حركة لا إرادية أما الضرب باليد فحركة إرادية.

2_أن الله تعالى وجه للمكلفين أوامر ونواهي ولوم يكن التكليف في مقدورهم لكان أمر بعبث والله منزه عن العبث فكيف يكلفهم بما لا يستطيعون ثم يعاقبهم فهو أمر مخالف لعدل الله ورحمته وحكمته.

3_أن الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيا طريق الخير والأمر به وإيضاح طريق الشر والنهي عنه ولو كان الإنسان يتصرف بإرادته واختياره المحض لما كان هناك فائدة من إرسال الرسل وإنزال الكتب.

4_.أن الله تعالى أمر ونهى الإنسان ولم يكلفه إلا بما يستطيع ولو كان الإنسان مجبرا على فعل ما لا يستطيع الخلاص منه وهذا باطل.

5_ أن العاصي يقدم على المعصية باختياره من غير أن يعلم أن الله قدر عليه إذ لا يعلم لأحد قدر الله غليه فكيف يصح الاحتجاج بحجة لا يعلمها المحتج حين يعتذر بها إذ قدر الله تعالى سر مغيب عن الإنسان فلا يعلم القدر إلا بعد وقوع المقدور ومن ثم فإرادة الانسان سابقة لعلمه بالمقدور فلا يصح أن يحتج به وينتج عن الخلط في هذه التصورات والمفاهيم أمران في غاية الأهمية:

1_السلبية العاجزة التي تقوم على ترك السباب وتعطيل عملية الاستخلاف عمارة وعبادة بترك العمل والانتاج تحت ذريعة القدر وهذا نوع من الانحراف يحرم الإنسان من الابداع والاختراع وتطوير الحياة ويجعله يستسلم لأوهامه في كون كل شيء مقدر فما قيمة العمل إذن ؟

2_ الافتتان بالأسباب الظاهرة والنظر إلى القوانين والنواميس الكونية بأنها حتمية مطلقة، وأن الإنسان قادر على أن يصنع قدره بنفسه، وبالتالي يستحوذ عليه الشعور الطاغي حتى يؤله نفسه وأنه أصبح يمحكم في جميع الأسباب وأنها أسباب تفعل بنفسها وعند التأمل في انتاج الحداثيين يكتشف أن هذهذا النوع من التصور هو سبب انحرافهم مقلدين في ذلك أفكار الحضارة الغربية المنفصلة عن التوجيه في هذه القضية التي تحير العقول ولا تحيلها، وعند التأمل الدقيق فإن الإيمان بالقدر يشرح مجال عمل كلا من المشيئة الإلهية والمشيئة الإنسانية وهذا هو سر الابتلاء بالغيب والمنحى الذي سلكته الحداثة في باب القدر من هذا القبيل سواء في عالم الفلسفة أو الأدب شعرا وتثرا ورواية ومن أظهر تفسيراتهم ما يأتي:

1_ نفي وجود القدر وأنه خرافة لا وجود لها

2 – ذم القدر والاعتراض عليه وجعله سبب التخلف والتحجر عند الذين يؤمنون به

3_ السخرية والتهكم بالقدر والاستهزاء بالذين يؤمنون به

4_ الزعم بالقدرة على تغيير القدر

5 نسبة الشر إلى الله تعالى

6_ تسويغ الرذائل والانحرافات بالقدر

لا ششك أن المتأمل في أقوال الحداثيين يلح تحاملهم على القضايا الذينية سواء استوعبوها أم لا فهم يرفضونها لأن الحداثة الغربية نطقت بها على ألسنة بعض فلاسفتها،، على الرغم من من أن عالم المخلوقات بنامه وتناسقه وإحكام حركته يدل على أن هناك قدر كوني يحدد حقيقته وصفته ومساره وحركته وسكونه وارتباطات كل مكوناته وانسجامها في وظائفها

وسوف نسوق أمثلة لتفسيراتهم وانحرافاتهم في باب القدر

فأما نازك الملائكة فلها أقوال عديدة منها: فيها توصيف سيء وذم للقدر فمرة هو سخرية ومرة أعمى ويقود للمجهول ومرة تصفه بالظلم ومن ذلك قولها: " كيف نمضي للغنا والأناشيد بيد وتبقى سخرية الأقدار"[1].

ومنها قولها: " نحن أسرى يقودنا القدر الأع مى إلى ليل عالم مجهول"[2].

أما **صلاح عبد الصبور** فيتهكم على الإيمان بالقضاء والقدر ويجعله سببا للجهل والسذاجة والبساطة في بلاد المسلمين وذلك في قصيدته الشهيرة " الناس في بلادي" ومنها: الناس في بلادي جارحون كالصقور

غناؤهم كرجفة الشتاء في ذؤابة المطر

وضحكهم يؤز كاللهب في الحطب

خطاهم تريد أن تسوخ في التراب وطيبون حين يملكون قبضتي نقود

ويقتلون يسرقون، يشربون يجشأون لكنهم بشر ومؤمنون بالقدر"[3]

يطرقون يحدقون في سكون في لجة للرعب العميق والفراغ والسكون ما غاية الإنسان من الحياة يا أيها الإله ؟ الشمس مجتلاك والهلاك مفرق الجبين وهذه الجبال الراسيات عرشك المكين وأنت نافذ القضاء أيها الإله كم أنت قاس موحش أيها الإله" [4]

---

[1]– ديوان نازك الملائكة ، 25/1.

[2]– ديوان نازك الملائكة ، 25/1.

[3] _ ديوان صلاح عبد الصبور ص 29

[4] _ ديوان صلاح عبد الصبور ص 31/39

توحي هذه المناجاة في البداية بأن الشاعر يمهد لقضية إيمانية لكنه في النهاية ينحرف عن ذلك ويتجه وجهة معاكسة وهو ان يتهم المقدر _سبحانه_ بأنه قاس وموحش فتجعل السامع يخلع إيمانه بدل أن يرسخه

وفي مقطع آخر من مسرحية الحلاج يقول: «الشر قديم في الكون

الشر أريد بمن في الأرض

كيف يعرف ربي من ينجو ممن يتردى»[1].

لا يخفى على كل قارئ للقرآن أن هذا القول مخالف لصريح القرآن وطعن في علم الله الشامل وإحاطته سبحانه بكل شيء ، صحيح أن أمر القدر يحير العقول ولكن الإيمان بعدل الله ورحمته وحكمته والإيمان بالغيب يزيل كل شبهة متعلقة بكيفية جريان الأقدار، فالشر ما خلق إلا ليكون مادة للابتلاء، وهو لم يقصد منه إلحاق الأذى بمن في الأرض، بل أراد الله بالناس الرشد لا كما يزعم الحداثيون فجعل فطرتهم سليمة وأنزل الكتب وأرسل الرسل لإعانة الإنسان على الابتلاء الذي لا معنى للجهد الإنساني في الحياة إلا به.، ولكن الحداثيين عندما يعجزون عن تفسير قضية ينفونها ويسيئون الأدب مع الخالق الذي يمدهم بالحياة في أشكال مختلفة.

ولنزار قباني مقطوعات مليئة بالذم والسخرية والاستخفاف بالقدر يحركه فيها انحرافه الفكري والأخلاقي وشهواته وماديته ومنها

ماذا أعطيك أجيبيني قلقي إلحادي غشيامي

ماذا أعطيك سوى قدر يرقص في كف الشيطان [2]

[1] _ديوان صلاح عبد الصبور ص474

[2] _ الأعمال الشعرية لنزار ص 406

مشيئة الأقدار لا تردني أنا الذي أغير الأقدار [1]

أما عبد العزيز المفالح فيبلغ به التسخط على القدر حتى يجعله مهزلة فيقول:

ألمح وجه "أسود" ذميم

يغتصب ابنتي

ينزع عن جبينها الصغير هالة الشعر

أسمع صوته اللئيم

يحفر على هور أهلنا مهزلة القدر"[2].

والحداثيون لا يتورعون عن نسبة الشر إلى الله تعالى ومن أمثلة ذلك ما يقوله أنسي الحاج وإن السياق في مقدمته يوحي بأن الرجل في حالة من الضراعة والخشوع والاستسلام فيقول: "عفوك يااله أصوغ السؤال ثم أخاف، وإن لم أصغه اختنق إذا كنت أنت الخير فستأخذ غضبي بحلمك، وإذا كنت الشر فلن تجد شري بأسوأ من شرك، من أنت يا الله ؟[3]

إن من صفاء عقيدة المسلم أن لا ينسب الشر إلى الله تعالى كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم:" والشر ليس إليك"، بل إن من حسن الأدب أن يكون الموقف كموقف الجن الذين استمعوا القرآن فقالوا: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ سورة الجن الآية 10.

---

[1] الأعمال الشعرية لنزار 329/3

[2] _ ديوان عبد العزيز المفالح ص 223

[3] مجلة الناقد عدد 17 1979م ص7/6

ومن خلال هذا البيان ينكشف لنا أن الحداثة ليست مجرد لفظة لطيفة مغرية تقصد تحسين ظروف الحياة وإنما هي لفظة جوهرها الإلحاد وهو الإعلان عن موت الإله كما عبر عن ذلك نتشه الذي يعتبر أبو الحداثة المتطرف جدا والقدوة للحداثيين العرب هذا في جانبها الفلسفي. أما الحداثة في جانبها المادي فتتمثل في هذه المظاهر الحضارية وهي منجزات إنسانية لا علاقة لها في حقيقتها بالفكر الحداثي كما يحاول الحداثيون إيجاد حالة من التلازم بينهما من خلال الربط بين العقلانية والحرية وتلك المنجزات الحضارية، لأن تلك المبادئ التي يتحدثون عنها جاءت في سياقات أخرى لها علاقة بالجانب الفلسفي لا الجانب التجريبي ، فيمكن لأي عقل سليم يتبع الخطوات المنهجية أن ينتجها دون أن يكون حاملا لفكر الحداثة ومبادئها ومضامينها الفلسفية ومفاهيمها والأدلة قائمة بين أيديهم، فكثير من المبدعين الذين قامت التكنولوجيا المعاصرة على أيديهم لا يحملون بالضرورة فكرا حداثيا بذلك المفهوم الإيديولوجي ذو البعد الفلسفي. ومن هنا فالربط الحتمي بين الحداثة الفلسفية والتطور والتقدم مغالطة مفضوحة والتلازم بين الحداثة والتحديث كذب على الحقيقة، فإذا اعتبرنا هذا صحيحا في أوروبا مع التخريف والتحريف الذي لحق الموروث الديني للمسيحية واليهودية فإن ذلك لا ينطبق على الإسلام، ولا يجوز إلصاق تهمة التخلف بالدين والقيم والمبادئ التي يقوم عليها الإسلام، إذ أن الدين حدد المقاصد والكليات التي تحقق معنى الاستخلاف وتحفظه من الانحراف وحرر الإنسان في البحث عن وسائل تحقيق معنى العمران في ارقى صوره. وتعرض للتفاصيل في القضايا التي لا يدرك العقل أبعادها المختلفة، فسيدنا سليمان في سورة النمل يعبر عن هذا المعنى بجلاء فلا تناقض بين التقدم والقيم.

المبحث الثالث: انعكاسات الفكر الحداثي على الحياة الإنسانية وكيفية مواجهته

المطلب الأول: خطورة مفاهيم الحداثة ومصطلحاتها

لا شك أن الثقافة المهيمنة تؤثر تأثيرا بالغا عن الجميع ولا سيما تلك الشعوب التي وهن خيط ارتباطها بموروثها الثقافي ففقدت تلك الشعوب مناعتها وروح المقاومة لديها، وأضحت كالإسفنجة التي تمتص كل دخيل ومن هنا تحدث عملية المسخ والتنكر للموروث الثقافي بل اتهامه بأنه سبب الأوضاع المزرية، وإن كانت تلك الأوضاع لها أسباب أخرى، ومن أهمها التنكر للموروث الثقافي، لأن التاريخ أثبت أن التقدم الحقيقي هو الذي يكون من نتاج الذات الحضارية التي لا تغفل الموروث ولا تنغلق عما يحيط بها من منجزات إنسانية من الحكمة الانفتاح عليها والإفادة منها في ظل الخصوصية الثقافية، لكن الخطورة كل الخطورة أن تتجه الأمم إلى التقليد الذي يعد آفة إذا أصبح أعمى لا يفرق بين المقاصد والقيم الثابتة التي تحفظ هوية الأمة والوسائل المتغيرة التي يمكن اقتناؤها باعتبارها من المشترك الإنساني. ومن هنا كان الانفتاح ضرورة وأن التفاعل مع معطيات كل عصر حكمة، بشرط أن توضع الضوابط كي لا تمس جوهر المقاصد والقيم وما يعد من الثوابت التي تشكل عناصر الهوية الحضارية والتي يكون من خلالها التمايز الحضاري

وتأسيسا على هذا فالعلاقة مع الحداثة ينبغي أن تراعي فيها هذه القواعد والضوابط حتى لا تنعكس مفاهيمها على الأمة فتخرب عقائد وتدمر كل مقوماتها ومن ثم تصبح الحداثة معول هدم بدل أن تكون عوامل بناء إذا تم الانتقاء بوعي وحكمة، أما الانخراط الكلي في الحداثة الغربية في بعدها الفلسفي والمادي دون تمييز فيعد خطرا على هوية الأمة ويضع المسلم في تناقض مع دينه وعقيدته وهذا ما نلاحظه عند تفحص واقع بعض الحداثيين الذين لم يبلغ وعيهم درجة التمييز بين الحداثة الفلسفية

والتحديث المتعلق بالجوانب العمرانية والتقنية الذي بلغته الدول الغربية والذي لا علاقة له البتة بمناهج الإلحاد والكفر والعلمنة، ومن هنا تعرض فكر الذين ارتموا في أحضان الحداثة إلى أمرين خطيرين:

1_تشويه المفاهيم بحيث شحنت مفاهيم الموروث الثقافي للأمة بمصطلحات في المجالات المختلفة ذات دلالات ومعاني سلبية حتى ظنت الأجيال الجديدة أن هذه المفاهيم هي الحقيقة فلا يدركون آثارها وأخطارها ولا ينتبهوا إلى جذورها وأبعادها.

2_ تغييب الوعي: وهذا جعل الأمة تتقبل كل ما يلبي الغريزة ويرقي الجانب المادي للإنسان وذلك تحت ضغط المنتجات المادية المدعمة بترسانة وسائل الإعلام حتى غيب الوعي فأصبح الواقع يفرض نفسه وفسدت التصورات وانحرفت التصرفات وامتزجت الوسائل بالغايات

فلا تكاد تفرق بين البلدان في كثير من المظاهر في ظل العولمة التي تحاول إذابة كل الخصوصيات وتنميط العالم.

المطلب الثاني: أساليب مواجهة الفكر الحداثي

يتميز المنهج القرآني بصدق المضامين وعدل الموازين، ومن ثم فهو منهج مؤيد بالحجج والأدلة التي تنفي عنه كل الشبه مهما تنوعت ولكن سنة التدافع في الحياة تقتضي شحذ الهمم الفكرية لمواجهة الأفكار التي يريد أصحابها إطفاء نور القرآن والنيل من علومه المختلفة وقيمه الثابتة وأحكامه العادلة وذلك باستغلال الوهن الذي أصاب الأمة ففقدت كثير من المناعة وأصبح جسمها سهل الاختراق، ولا سيما أن ميدان التعليم كان مستهدفا فضعفه وإقصاء مواد الهوية منه أو تحجيمها إلى الحد الذي لم تعد معه قادرة على تحصين الأجيال كان السبب وراء قدرة الحداثة على إيجاد موقع لها بين ظهرانينا، ولو كانت الأمة تتلقى الجرعة الكافية من الثقافة الصحيحة فإن

الحداثة بيتها أوهن من بيت العنكبوت فأنى لها أن تصمد أمام الحجج القرآنية كلمة الله الخالدة إلى يوم الدين قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ سورة محمد الآية 38. أي أجيال أكثر وعيا واعتزازا وعطاءا وقدرة على التدافع و لا يتأتى ذلك إلا بمناهج علمية قوية مركزة على الهوية في بناء الشخصية الحضارية التي تقوم على:

1_فهم هذه التحديات من خلال البحث في جذورها وخلفياتها وأبعادها وأهدافها وآلياتها في الكيد فغالبا ما تسوق هذه الأفكار في هيئة ناعمة الملم ولكنها تحمل الم الزعاف كالحية القاتلة وكالسم في العل ولا يا إذا تأكد لدينا أن الحداثة في عالمنا الإسلامي هي بنت الاستشراق الذي خبر العلوم الإسلامية ومصطلحاتها ومناهج التأليف فيها، ومن حين لآخر يدس الأفكار السامة في خضم الحديث عن عظمة هذا الدين فتسلل بعض الأفكار بمكر ودهاء وهذا من شأنه أن يفرض علينا الفطنة لرد هذا الكيد ورد ذلك المكر.

2_ضرورة تحصين الأجيال ووقايتها من الأفكار الوافدة خلال تطوير مناهج التربية والتعليم وجعلها خادمة لهوية الأمة وقيمها.

3_ جمركة المصطلحات الوافدة من المعلوم أن كل مصطلح دخيل تكون مفرداته محمّلة بفكر ومرجعية منتجها فكان ضروريا جمركة تلك المصطلحات وتفكيكها لتعرية ما تتضمنه من الدلالات ومحاكمتها بالموازين الشرعية حتى لا تخترق ثقافتنا ويلتبس الحق بالباطل.

4_التمييز بين التجديد بالمفهوم الشرعي والتحديث بمفهومه الفلسفي: فالتجديد في بعض المجالات والمفاهيم والتكيف مع الظروف أو كما يعبر عنه الفقهاء مراعاة

الحال هو من صميم الدين لأن التفاعل مع المعطيات الجديدة دليل الحيوية وصلاحية الفكرة ومعالجة المستجدات أما الحداثة ببعدها الفلسفي فهي إخراج للأمة من دينها، فمعظم أفكار الحداثيين تطوف حول الإلحاد والتشكيك والسخرية من الدين حسب فهمهم الهزيل.

5_الرجوع والمراجعة: أي الرجوع لاستلهام المفاهيم من القرآن الكريم ومراجعة التراث الفقهي والفكري والتفسير ولا سيما تلك المسائل التي ثبت بعد التحقيق والتدقيق أنها تحتاج إلى الإلغاء أو التعديل بما لا يتعارض مع المقاصد والكليات.

الخاتمة:

هذا وقد انتهت الورقة إلى: **أولا: النتائج**

1_ أن الحداثة نبتة غربية خالصة، أنتجها الفلاسفة والأدباء لتصحيح وضع مأساوي بلغته الحضارة الغربية في القرون الوسطى لديهم، أما القرون الوسطى للأمة الإسلامية ، فهي قرون ازدهار ونور جديد سطع على الإنسانية

2_ أن الحداثة هي الثمرة الخبيثة المرة للصراع بين الكنيسة والعلم في الغرب ولا شأن في النصوص الإسلامية بمثل ذلك الصراع .

3_أن المناهج التي اعتمدتها الحداثة تصدق على دراسة النص الديني الغربي وحده أما النص القرآني فلا يخضع لتلك المناهج التي تستهدف تجريده من أهم خاصية من خصائصه والتي أثبت التقدم الذي تعيشه البشرية إعجازه وعدم مناقضته للحقائق العلمية المكتشفة.

4_أن الحداثيين العرب تجرأوا على القرآن لجهلهم بطبيعته وعدم امتلاكهم لآليات البحث فيه وغياب الموضوعية في التعامل مع نصوصه.

5_أن الحداثة تحد حقيقي للعقيدة الإسلامية لأن موضوعها يتمحور حول مقومات

العقيدة وأركانها ومفاهيمها الأساسية.

6_أن هناك علاقة وطيدة بين الإلحاد والحداثة مما يدفعنا إلى البحث الدقيق لمعرفة الجهات التي تقف وراء دعاة الحداثة، ولا سيما فيم يتعلق بالطعن والتشكيك والاستهزاء بالقضايا الجوهرية في الدين.

7_أن الحداثيين يمارسون المغالطة لخلط المفاهيم باستخدام العلمية في كل القضايا ولا شيء مما يدعون له صبغة العلمية.

ثانيا: التوصيات: توصي الورقة بـ:

1_ ضرورة تطوير مناهج العقيدة في كلياتها، ومواجهة التحديات الحقيقة التي تواجه الأجيال في عصر العولمة والإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي التي لا تستأذن أحدا عند اقتحامها للبيوت.

2_ضرورة رصد الأفكار الدخيلة المدمرة ودحضها بالأساليب العقلية التي يفهمها العالم حفاظا على القيم الإنسانية، وبالأساليب النقلية.

قائمة المراجع :

أولا: القرآن الكريم: مصحف المدينة للنشر الحاسوبي، برواية حفص عن عاصم بالعد الكوفي، وعدد الآي على طريقته ست وثلاثون ومائتان وستة آلاف آية (6236).

ثانيا: الكتب

1- الأسس الفلسفية للعلمانية، عادل ظاهر، دار الساقي، ط 1 سنة 1993.

2- الإسلام والحداثة، ندوة مواقف، شارك فيها، مجموعة من الحداثيين، دار الساقي، ط 1، سنة 1990.

3- الأعمال الشعرية الكاملة، لأدونيس، دار العودة، بيروت، ط 4، سنة 1985.

4- الأعمال الشعرية الكاملة،توفيق صايغ، رياض الريس للكتب والنشر،ط1، 1990.

5- الأعمال الشعرية الكاملة، لمعين بسيسو، دار العودة، بيروت، ط 3، سنة 1987.
6- الأعمال الشعرية الكاملة، لممدوح عدوان، دار العودة، بيروت، سنة 1986.
7- الثابت والمتحول، لعلي أحمد سعيد» أدونيس»، دار العودة، بيروت، ط 4، 1983.
8- ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة، بيروت، سنة 1971.
9- ديوان سعدي يوسف، دار العودة، بيروت، ط 3، سنة 1988.
10- ديوان سميح القاسم، دار العودة، بيروت 3، سنة 1973.
11- ديوان صلاح عبد الصبور، دار العودة، بيروت، سنة 1986.
12- ديوان عبد العزيز المقالح، دار العودة، بيروت، ط 2، سنة 1980.
13- ديوان عبد الوهاب البياتي، دار العودة، بيروت، ط 4، سنة 1990.
14- ديوان محمود درويش، دار العودة، بيروت، ط 12، سنة 1987.
15- ديوان نازك الملائكة، دار العودة، بيروت، ط 2، سنة 1981.
16- زمن الشعر لأدونيس علي أحمد سعيد، دار العودة، بيروت، ط 3، سنة 1983.
17- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، دار الدعوة.إستنبول، تركيا، سنة 1401ه.
18- الفكر الإسلامي، قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، مركز الأنماط القومي، بيروت، سنة 1987.
19- في الشعر الجاهلي، طه حسين، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، سنة 1926.
20- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط 7 سنة 1498 ه/ 1978.
21- لا أستأذن أحدا، سميح قاسم، رياض الريس للكتب والنشر، سنة 1988.
22- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، د ت.
23- ليلة القدر، الطاهر بن جلون، ترجمة محمد الشركي، مراجعة محمد بنيس، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 2 سنة 1988.
24- مسافة في عقل رجل، علاء حامد، د ن، د ت.
25- مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، مطبعة المعارف، مصر، سنة 1938.